

تنوع الأساليب في الخطاب الإسلامي الأدبي

محمد حسن معصومي*

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة "آزاد" اسلامية في قم

Dr_masomi38@yahoo.com

تاريخ قبول البحث: ١٣٩٢/٠٣/٢٧

تاريخ استلام البحث: ١٣٨٩/٠٢/٢١

الملخص:

يختار الخطاب الإسلامي الأدبي باعتباره بنية دلالية متناغمة مع نفسه، أساليب أدبية أو لغوية متنوعة لإرسال الفكرة إلى القارئ و تعميقها فيه، انطلاقاً من القناعة بأن التركيبة النفسية الإنسانية تختلف؛ الأمر الذي يتطلب تنوع الأساليب في مخاطبة الناس للوصول إلى الغاية التي يرمي إليها هذا الخطاب؛ لذلك يوظف أنواعاً أدبية متنوعة لتوجيه المتلقي إلى الخير، كما أنه يوظف الصور البيانية و كذلك أساليب الجملة (دلالات الجملة المتنوعة) لنفس الغاية. أمّا في هذه المقالة فقد اقتصرنا على بعض الأنواع و الفنون الأدبية لتوضيح صورة التنوع الأسلوبي في الخطاب الإسلامي الأدبي، و إنه خطاب ديني واضح المعالم يتخذ من العقل و المنطق قاعدة انطلاق، و من العاطفة مادة حية يوظفها بغية التأثير و من الأسلوب الأدبي قالباً كلامياً لإرسال الفكرة. عموماً فإننا عالجنا و باختصار طريقة تأثير كل واحدٍ من تلكم الأنواع، مشفوعة بأمثلة من القرآن الكريم و الحديث الشريف.

الكلمات الرئيسية: الخطاب الأدبي الإسلامي، القرآن، الحديث، المتلقي، الفنون الأدبية.

١. مقدمة

لحكمة أرادها الله و اقتضاها، اختلفت التركيبة النفسية - و بتأثير من أسباب بيئية و اجتماعية و تربوية - من فرد لفرد آخر من أبناء البشر، و هذا ما يفسّر اختلاف الأذواق و الميول و الرغبات و الأحاسيس و كذلك الرؤى و الأفكار و الطموحات و الغايات، كما يبيّن السر الكامن وراء التنوع في الخطاب الإنساني و أخصّ بالذكر الخطاب الإسلامي الأدبي حيث يختار هذا الخطاب أكثر من طريقة بيانية في مخاطبة الناس، فلا يقتصر على أسلوب أدبي بعينه انطلاقاً من فهمه لواقع حياة الإنسان الذي أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ

وَأَلْوَيْتُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم: ٢٢]

الخطاب الأدبي شعراً كان أم نثراً يوظف كافة الإمكانيات اللغوية الجمالية لبعث الإعجاب في المتلقي و بالتالي أخذه إلى فضاءات أو أجواء يتعامل من خلالها مع الفكرة تعاملاً وجدانياً مما يجهد له أرضية ملائمة للانفعال النفسي و بالتالي إمكانية تغيير أكثر في ممارساته اليومية. يقول أحد النقاد المعاصرين: "يعد الأدب بنوعية الشعري و الثري تربة خصبة لاستثمار الدلالات الهامشية لغرض تحقيق المتعة الفنية في النص الأدبي و التأثير في المخاطبين و إشراكهم وجدانياً في التجربة الشعرية، و يتفاوت الأثر الوجداني الذي يحس المتلقون باختلاف درجة اكتناز النص المقروء أو المسموع بالإيجاءات العاطفية و مدى ما يكون لتلك الإيجاءات من صدى وجداني في نفس المتلقي و كذلك باختلاف درجة تعامله مع النص". (يونس علي، ٢٠٠٧: ٢٢٥-٢٢٦)

و لقد حرّب الخطاب الإسلامي الأدبي - كما أسلفنا - أكثر من أسلوب أدبي لعرض الفكرة

١. يتفق المفكرون الإسلاميون على أنّ هناك سمات أساسية تميز الخطاب الإسلامي و هي تتمثل في ما يلي:
أولاً: إنه يتركز على مرجعية القرآن و السنة و هداية العقل و بتفريقه بين خط الغيب باعتباره واقعا نبوياً و بين منحنى الخرافة.
- ثانياً: إنه خطاب موضوعي، منفتح، عالمي يتركز على نقاط اللقاء من أجل أن يعالج من خلالها نقاط الخلاف.
- ثالثاً: إنه يرمي إلى الحق و الخير و الكمال.
- و أما فيما يتعلق بآليات الخطاب الديني التي أصبحت مثار جدل واسع في الوسط الإسلامي المعاصر يقول الدكتور نصر حامد أبو زيد: "يمكن إجمال آليات الخطاب الديني فيما يلي:
١- التوحيد بين الفكر و الدين و إلغاء المسافة بين الذات و الموضوع.
٢- تفسير الظواهر كلها بردها جميعاً إلى مبدأ أو علة أولى، تستوي في ذلك الظواهر الاجتماعية أو الطبيعية.
٣- الاعتماد على سلطة "السلف" أو "التراث".
٤- اليقين الذهني و الحسم الفكري، و رفض أي خلاف فكري إلّا إذا كان في الفروع و التفاصيل.
٥- إهدار البعد التاريخي و تجاهله و يتجلى هذا في البكاء على الماضي الجميل." (أبو زيد، ٢٠٠٣: ٦٧)
- * إن الخطاب الإسلامي الصحيح هو الذي يريد للإنسان المسلم أن يتعقلن و يفكر بهدوء بحيث يجر الآخرين الذين يواجهونه إلى التفكير معه بهدوء ... إن الأسلوب القرآني التصالحي في الخطاب يتمثل في قوله - تعالي -: ﴿... وَإِنَّا أَوْ
- إِنَّا كُمْ لَعَلِّيْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، و هذا الأسلوب لم تستطع كل حضارية الأسلوب المعاصر أن تقترب منه فضلاً عن أن تتقدمه ... فالإسلام يريد للخطاب الإسلامي أن يتحرك بطريقة عقلانية في إطار الحجة و البرهان و العلم، قال - تعالي -: ﴿... فَلْهُمَّاؤُا بُرْهَنَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. (فضل الله، ١٤٢٥: ٩-١٠)

لغرض الدعوة و الإرشاد، حيث يلتزم به الأدب الإسلامي الحق، و فيما يتعلق بتنوع هذا الخطاب بوجه عام، فتمت حديثاً روي عن أئمة أهل البيت (ع) جاء فيه: "أنزل القرآن على سبعة أحرف: أمرٌ و زاجرٌ و ترغيبٌ و ترهيبٌ و جدلٌ و قصصٌ و مثلٌ" (المجلسي، ١٩٧٩: ٩٧/٩٣) و هذا يعود طبعاً إلى اختلاف الأذواق و مستويات المعرفة لدى المخاطبين، حيث يأخذ كل واحد منهم ما يتناسب و نفسيته و هذا ما نلاحظه في حديث آخر يقول: "كتابُ الله على أربعة أشياء: على العبارة و الإشارة و اللطائف و الحقائق؛ فالعبارة للعوام، و الإشارة للخواص و اللطائف للأولياء و الحقائق للأنبياء" (المصدر نفسه، ١٩٧٩: ٢٠/٩٢) و هذا يدل بوضوح أن للقارئ مستواه المعرفي المعين، حيث يتعامل مع النص حسب هذا المستوى، و إذا كان فهم القارئ للنص يعود إلى مدى تعامله مع النص ثقافياً فبطبيعة الحال ينبغي للمبدع أن يراعي هذا الجانب في خطابه.

٢. خلفية البحث

سبق للقدماء أن عرضوا للأساليب المتنوعة التي يتوفر عليها الأدب الإسلامي و لكن بعناوين مختلفة و ربّما بشكل غير منهجي بعيد عن المفهوم العصري له، كما تناول الموضوع كثير من الأدباء الإسلاميين في العصر الحديث، فقد اهتمّ به مثلاً سيد قطب في كتابيه الجليلين "مشاهد القيامة في القرآن" و "التصوير الفني في القرآن" و بمنهجه الفني الفذ؛ و ناقشه الدكتور نجيب الكيلاني في كتابه "الإسلامية و المذاهب الأدبية" و الدكتور محمود البستاني في جلّ مؤلفاته منها: "الإسلام و الفن"، "الإسلام و الأدب" و "أدب الشريعة" و غيرها و هؤلاء جميعاً عالجوا خصائص الخطاب الأدبي الإسلامي في محاولة لإرساء دعائم هذا الخطاب و إبراز ميزاتهما و قد جنحوا إلى التقييد أحياناً. أمّا هذه المقالة فنهدف فيها إلى تسليط الضوء على هذا التنوع الأسلوبي في الخطاب الإسلامي الأدبي الذي يتفتّن في التعبير عبر استخدامه الأنواع الأدبية لعرض الفكرة على المتلقي، و قد استثمر الخطاب الإسلامي الأدبي معظم الأنواع و الفنون الأدبية لمخاطبة الناس، ترسيخاً لمبادئ العقيدة السليمة في النفوس و ترغيباً للسلوك الطيب التزيه فيهما؛ هذا و نتناول في النص بعض الأنواع الأدبية التي تمّ توظيفها لهذا الغرض على أساس وعي تامّ بتأثيرها، تليها الفنون الأدبية.

٢-١. الأنواع الأدبية

١- القصة: القصة لغة الخبر، وهو القصص، و قصّ على خبره يقصّه قاصاً و قصصاً: أوردته. (ابن منظور،

١٤٠٥: ٧/٧٤) و في الاصطلاح الأدبي، هي سرد واقعي أو خيالي لأفعال و قد يكون نثراً أو شعراً يقصد به إثارة الاهتمام و الإمتاع أو تثقيف السامعين أو القراء. (فتحي، ١٩٨٦: ٢٧٣).

تُعدّ القصة من أقدم الفنون و أكثرها أهمية، عرفت الحضارة الإنسانية منذ القدم و في شكل الحكايات و الأساطير؛ و فيما يتعلق بالنصوص الإسلامية، يمكن القول أن أنفع الأساليب و أكثرها رسوخاً في نفس المتلقي، هو الأسلوب القصصي في القرآن الكريم، حيث أورد قصص الأنبياء و الأمم الماضية بقصد الاعتبار و العظة ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. [يوسف: ١١١]

عموماً فإنّ القصص في القرآن وسيلة من وسائل الدعوة و إنما جاءت أساساً لتحقيق غايات عقائدية و تربوية، فعلى سبيل المثال، فإنّ قصة سيدنا يوسف (ع) التي عبّر عنها القرآن بأحسن القصص تنطوي على دروس اجتماعية و أخلاقية عديدة سواءً على مستوى الفكرة العامة للقصة أم على مستوى التفاصيل الجزئية فيها؛ بيد أن ما يميز الخطاب الإسلامي الأدبي في ميدان القصة القرآنية، هو أن القصة القرآنية تختلف عن القصة البشرية بكونها تتناول واقعاً عملياً وليس تخيلاً و هذا ما جعله أكثر تأثيراً في النفوس؛ لأن القارئ عندما يقرأ نصّاً واقعياً يتفاعل معه أكثر مما لو عرفه محض الخيال.

٢-١-١. ميزة الخطاب القصصي القرآني

إن عديداً من القصص في القرآن تتكرر، و لكن في كل مرة بشكل مختلف؛ فلاحظ ذلك في قصص نوح و هود و صالح و لوط و شعيب و موسى ... و حينما نتمعن نجد أن الشخصيات تستغير دون الوظائف و هي: الدعوة إلى التوحيد، الرفض و الاستكبار و نجاة المؤمنين و هلاك الكافرين "غير أن الهدف الذي تأتي من أجله قصة من قصص النبي الواحد، يجعلها تختلف في كل مرة في بنيتها الوظيفية فيكون التركيز على وظائف دون غيرها و يكون بحضور وظائف أو غياب أخرى مما يؤثر في متواليات الوظائف فيجعلها بالتالي قصة جديدة في كل مرة. و أمّا القصص المفرد الذكر في القرآن فنرى كيفية تماسك الوظائف فيه تماسكاً منطقياً زمنياً في الوقت ذاته بحيث تقوم كل وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطى تسلسلي غالباً و كل وظيفة لها دورها الذي يحدده السياق". (حضر، ٢٠٠٤: ٥٨)

فأمّا ميزة الخطاب القصصي الرئيس في القرآن فتتمثل في دعوته إلى الالتزام بالمثل الأخلاقية النبيلة و القيم السماوية العالية التي بشر بها الأنبياء (ع)، و من أبرز نماذج هذا الخطاب - كما قلنا - قصة سيدنا يوسف (ع) التي يستشف منها القارئ الدعوة إلى لزوم العفة و الانصراف عن الإغماك في

الشهوات و البعد عن الحسد. و لكي نستجلي روعة الجمال الفني في هذه القصة، نكتفي بعرض إحدى آياتها و هي قوله - تعالى - : ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْتَابَ وَقَالَتْ

هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. [يوسف: ٢٣]

أولاً: استخدم لفظة "راود"، وهي توظف دلاليا في الإلحاح على الطلب مع اللين والعطف للمخادعة، فكان زليخا عرضت طلبته بإلحاح ولطف و حنان و أسلوب مخادع. [أو تحايلت لمواقفته إياها].

ثانياً: جمالياً لم يصرح باسم المرأة، حفظاً لكرامتها، وإتماً عبر عنها بالكناية و ذلك بقوله: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾، موحياً بذلك عن قوة الضغط وشدّة سيطرتها على يوسف، فزمام أمره بيدها، ولا مجال للهروب والتخلص منها، لأنه في بيتها. و يعني هذا دلالياً نزاهة يوسف و مدى تحكّمها على نفسه في مواجهة مثل هذا الموقف العصيب و يرفع درجة تلك النزاهة.

ثالثاً: قالت الآية: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْتَابَ﴾، دلالة على أن يوسف لم يجد أي مهرب و كانت الأجواء مهيأة للاستسلام التام و الوقوع في الفخ الذي وضعته له زليخا. و لا يخفى ما في توظيف فعل "غلقت" من مبالغة في الإغلاق و إحكام سده.

رابعاً: وقالت الآية: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، و هذا تعبير كنائي عن الدعوة إلى التلذذ الجنسي، فقد جاء التعبير بجمالية فائقة فلم يخدش وجه الأدب، فإن "هَيْتَ لَكَ"، اسم فعل بمعنى هَلَمْ، فله دلالة دقيقة جدا في الدعوة إلى اقتراح فعلة.

خامساً: أما موقف يوسف (ع) تجاه هذا العرض المثير، فتمثل في قوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، فيوسف لم يعرف خيانة، و لم يدّر بخلده أن يخون صاحبه (العزير) و مُنعمه و مربيّه في امرأته. دلالياً الضمير في "إنه"، عائدٌ إلى "العزير". ولذلك عندما تتضح الحقيقة، وتظهر خيانة المرأة، يرسل يوسف من زنزانتة إلى الملك، من يعلمه مخبراً: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾. [يوسف: ٥٢]. (السبحاني، ١٣٨٨: ٣/٣٢٤-٣٣٥)

أما الدلالة العامة لا في هذه الآيات بل في القصة بشكل عام فهي الدعوة إلى التزام العفة و الانصراف عن الإهماك في الشهوات و ذلك بأسلوب غير مباشر، هو الأسلوب القصصي الهادف إلى اعطاء الدروس الأخلاقية و أخذ الاعتبار و العظة.

فضلاً عن القرآن فثمة أيضاً نصوص قصصية في روايات أئمة أهل البيت (ع)، جاء معظمها على شكل حكايات أو قصص قصيرة تم توظيفها هو الآخر لهداية الناس و إرشادهم نحو الخير.

هذا الاهتمام البالغ بالأسلوب القصصي في القرآن والحديث الشريف إن دلّ على شيءٍ فإتّما يدلّ على الأثر البالغ الذي تركه القصة في النفوس التي تتجاوب معها تجاوباً تاماً، والنموذج القصصي التالي الذي روي عن النبي الأكرم (ص) يبيّن مدى أهمية هذا الفن في الخطاب الإسلامي. إنّ الفكرة الرئيسة التي تصرّح بها هذه القصة، هي التحذير من الاغتياب و من انتهاك أعراض الأبرياء نظراً للتداعيات الخطيرة المترتبة على هذا الخلق السيء و خرقها لنسيج الأمة و لُحمتها؛ تقول الرواية: "مررت ليلة أُسري بي على قوم يخمسون وجوههم بأظافرهم، فقلت: يا حيرئيل من هؤلاء؟ قال هؤلاء هم الذين يغتابون الناس و يقعون في أعراضهم". (المجلسي، ١٩٧٩: ٢٢٢/٧٥) لاشكّ أنّ كثيرين ممّن يسمعون مثل هذه الأفضوصة الواقعية تهنّز لها مشاعرهم و علّهم يثنون عن سلوكهم إذا كانوا من المغتابين؛ إذن يفعل مثل هذا الأسلوب القصصي فعلته في التأثير و الاستجابة.

٢-١-٢. نموذج قصصي رائع

من النماذج الروائية الشائقة تلك التي رويت عن الرسول (ص) في شأن "العقل" و اللافت فيها تحول هذه الظاهرة إلى شخصية متنامية متحركة تساهم بشكل فعال في بناء النص فكرياً، كما تساهم في التعريف بفن القص الديني أو خطاب القصة الدينية.

"عن موسى بن جعفر، عن أبيه الصادق، عن أبيه، عند جده عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّ الله تبارك و تعالى خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبي مرسل و لا ملك مقرب فجعل العلم نفسه و الفهم روحه و الزهد رأسه و الحياء عينيه و الحكمة لسانه و الرأفة فمه و الرحمة قلبه، ثم حشاه و قواه بعشرة أشياء: باليقين، و الإيمان، و الصدق و السكينة، و الإخلاص، و الرافق، و العظيمة، و القنوع، و التسليم، و الشكر، ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: تكلم فقال: الحمد لله الذي ليس له ند و لا شبه و لا شبيه و لا كفو و لا عدل و لا مثل و لا مثال، الذي كل شيء لعظمته خاضع ذليل.

فقال الرب تبارك و تعالى: و عزّني و جلالني ما خلقت خلقاً أحسن منك و لا أطوع لي منك و لا أرفع منك و لا أشرف منك و لا أعز منك بك أوحد و بك أعبد و بك أدعى و بك أرتجى و بك أبتغي و بك أخاف و بك أحذر و بك الثواب و بك العقاب.

فخرّ العقل عند ذلك ساجداً و كان في سجوده ألف عام، فقال الرب تبارك و تعالى بعد ذلك:

ارفع رأسك وسل تعط و اشفع تشفع ، فرفع العقل رأسه فقال : إلهي أسألك أن تشفعني فيمن خلقتني فيه. فقال الله عز وجل جلاله للملائكة : أشهدكم أنني قد شفعت فيمن خلقتهم فيه " (الشيخ الصدوق، ١٤١٨: ٣٣)

جاء النص في صياغة قصصية تتوفر على معظم عناصر القصة من موضوع و فكرة و حدث و حبكة و شخصية و بيئة و أسلوب لغوي و حوار و سرد روائي.

٢- ضرب الأمثال: الأمثال هي حصيلة ثرة للتجارب الإنسانية و قد تداولته الألسن في كل أمة منذ عصور قديمة، كذلك تعكس الأمثال الحالات الفكرية و الأدبية و الثقافية لتلك الأمم. "الأمثال بواعث إلهام و استلهام و دواعي توجيه و التزام و لن تؤتى أكلها إلا إذا أضحت صوراً حية متطورة متجددة في نفس متمثلتها"، (عبود، ٢٠٠٤: ١٥٠) و فيما يتعلق بصياغة الأمثال شكلياً فانها تُصَبّ في قالب عبارات موجزة أو مسهبة، لتعكس - كما قلنا - طموحات و آمنيات الأمم في مختلف الثقافات و الحضارات. و فنياً يمكن القول إن المثل "يستعمله منتج الخطاب حين يروم التعبير عن شيء لا يتحصل إلا بهذه الوسيلة ليزداد معنى ذلك الشيء قوة و جمالاً أيضاً". (الخطاي، ٢٠٠٦: ١٢٦)

أما في الخطاب الإسلامي الأدبي فقد حظى المثل بمكانة مرموقة نظراً لتأثيره البعيد على الوجدان و الإحساس، لذلك يوظف لأجل الدعوة و الإرشاد حيث يقنع المخاطب بالفكرة لانطوائه على جمال الصياغة في الشكل و الحجّة المنطقية في المضمون، فانه يتمتع و يقنع في الوقت ذاته. و لعل الاهتمام البالغ للخطاب الأدبي الإسلامي بالأمثال يعود "إلى أن الأمثال تضرب جذورها في أعماق الناس فيشكل جزءاً مهماً في حياتهم اليومية و عنصر مهمّاً و مؤثراً في سلوكهم و تعاملهم و تصوراتهم". (الحجيلان، ٢٠٠٩: ١٢)

و لاغرو أن يتحدث الدين الإسلامي إلى الناس بأساليبهم الكلامية و طرائقهم القولية؛ فقد أرسل الله - تعالى - أنبياءه بلسان قومهم و ليس القصد من اللسان تلك الأداة التي ينطق بها البشر و إنما يغطي مفهومه جميع تلك الطرائق و الأساليب و منها الأمثال.

هذا و ثمة عشرات من الأمثال ابتكرها القرآن، تم استخدامها للترهيب و الترغيب و غيرها من الأغراض، و هناك أقوال كثيرة وردت في السنة صارت مضرِباً للأمثال، و من الأمثال القرآنية قوله - تعالى -: ﴿... هَذِهِ بَصَعَتْنَا زُذَّتْ إِلَيْنَا...﴾، [يوسف: ٦٥] و منها قوله - تعالى -: ﴿... لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] و قوله تعالى: ﴿... صَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] و قوله تعالى: ﴿... وَإِنَّ أَوْهَرَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

[العنكبوت: ٤١] و من الأمثال في كلام ائمه اهل البيت (ع) قول على بن ابي طالب (ع) في نهج البلاغة "رَبُّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلٍ". (نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٣٩٤) و قول رسول الله (ص): "أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ، حِفْظُ اللِّسَانِ". (نهج الفصاحة، الحديث رقم: ٤٠٤) و قوله (ص): "الضعيف أمير الركب" (ابن الأثير، ١٩٦٣: ٣٨/٣)

فالمثل إذن شأنه شأن الأنواع الأدبية الأخرى له دورٌ بارزٌ في الإمتاع والإقناع، و لذلك اتخذته الخطاب الإسلامي الأدبي أداة ناجحة في سبيل الدعوة والتوجيه التربوي، لأنه يتماشى مع الفطرة الإنسانية الحية.

نختم الحديث عن الأمثال بكلام للزرکشي قاله في أهمية المثل القرآني: "ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منها أمورٌ كثيرة هي: التذكير بالوعظ والحث و الزجر و الاعتبار و التقرير، تقريب المراد للعقل و تصويره في صورة المحسوس" (الزرکشي، ١٩٨٨: ٤٨٦)

٣- الدعاء: يعتبر فن الدعاء من أجمل الأنواع الأدبية التي اهتم بها الخطاب الإسلامي في سياق التوجيه الإيماني. يقول الدكتور محمود البستاني معرّفاً هذا الفن الجليل: "... و الدعاء يعدّ نوعاً من التعامل الوجداني تجاه الله و هو يجسّد تجربة داخلية تتواصل مع الله مباشرة". (البستاني، ١٤٠٩: ١٧٠) و عن كيفية صياغته يقول: "... لا يصاغ الدعاء من قبل الداعي بل من قبل الشرع أي إنّ المشرّع هو الذي يصوغ تجربة الداعي و يقدّمها له". (البستاني، الصفحة نفسها)

لعل الخصوصية التي يتميز بها فن الدعاء تكمن في كونه يوجّه إلى المتلقي بطريقة غير مباشرة و هي طريقة مثاليه تؤثر في النفوس جوهرياً نظراً لفرادته و تميزه عن باقي الأنواع الأدبية، سواءً في الشكل أو المضمون و لذلك يعدّ إبداعاً فريداً من قبل الخطاب الإسلامي الأدبي؛ ثمة خصوصية أخرى تتميز بها الدعاء كخطاب ديني يتمثل في أنه يتوجه نحو الخالق بطلبات مشروعة تعكس مباشرة على حياة المخلوق و هذه الخصوصية هي كونه غير منحاز إلى فئة بعينها، لذلك يكاد يتماثل لدى جميع الأديان و المذاهب لأنه ينبع من قلب صاف يتزعّز متزّعاً إنسانياً نزيهاً و هنالك كثيرٌ من الأدعية وردت في القرآن الكريم منها هذه الآيات المباركة: ﴿... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مُسِيئِينَ أَوْ نَحْنُ بِذُنُوبٍ غَافِلِينَ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. [البقرة: ٢٨٦] و من الأدعية الكثيرة التي رويت عن الرسول الأكرم (ص) و أئمة أهل البيت (ع)، تتميز أدعية الصحيفة السجادية للإمام على بن الحسين (ع) بخصوصية فريدة، حيث يتحول فيها الدعاء إلى عنصر فاعل إيمانياً يعث في

النفوس حالة عبودية قوية، كما يغنيها أدباً و معرفة، منيراً طريق السعادة الأدبية للمخاطب الواعي، و من هذه الصحيفة المباركة، اختارنا هذا المقطع و هو دعاء في حق الوالدين: "اللهم اجعلني أهما هبة السلطان العسوف، و أبرهما برّ الأمّ الرؤوف و اجعل طاعتي لوالدي و برّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان و أتلج لصدري من شربة الظّمآن حتّى أوثر على هواي هواهما و أقدم على رضاي رضاهما و أستكثر برّهما بي و إن قلّ و أستقلّ برّي بهما و إن كثّر". (الصحيفة السجادية، دعاء رقم: ٢٤)

٢-١-٣. ميزة خطاب الدعاء

لا شك أن خطاب الدعاء يرقى إلى مستوٍ أعلي بكثير من خطاب الحديث إلى الناس العاديين، لأن الخطاب الأخير يوجه عادة - إلى شرائح اجتماعية ذات مستويات معرفية و ثقافية مختلفة حيث تفرض تلك المستويات اختيار أسهل و أبسط الخطابات أحياناً لتناسب مستوياتهم الفكرية؛ إلا أن خطاب الدعاء باعتبار من يوجه إليه و هو خالق الخلق يأتي في قمة الكمال اللغوي و الروعة الفنية، حيث يوظف فيه الداعي و هو الإمام(ع) كل ما يمتلكها من الإمكانيات الروحية و اللغوية و الأدبية، و آية ذلك: تلك الأساليب الأدبية الراقية و المضامين العالية التي تتجلى في الأدعية الصادرة عن النبي(ص) و عن أئمة أهل البيت(ع).

٢-١-٤. التنوع في خطاب الدعاء

إن خطاب الدعاء، خطاب يتنوع في مواقف الداعي و كيفيات الدعاء و حالاته بحيث يجعل هذا التنوع منه خطاباً حياً نشطاً يمس واقع الإنسان في كلّ لحظة من لحظات حياته، فمثلاً ينبغي للدعاء:

١. أن يكون بإلحاح: قال أبو عبد الله(ع): "و الله لا يلحّ عبدٌ مؤمن على الله - عزّ و جلّ - في حاجته إلا قضاها له". (الكليني، ١٣٨١: ٢ / ٤٧٩)
٢. أن تسمّى الحاجة: في الحديث عن أئمة أهل البيت(ع): "إن الله - عزّ و جلّ - يعلم حاجتك و ما تريد و لكن يجب أن تبث إليه الحوائج". (المصدر نفسه: ٤٧٦)
٣. أن يكون في مواقف معينة: قال أمير المؤمنين(ع): "اغتنموا الدعاء عند أربع: عند قراءة القرآن و عند الأذان و عند نزول الغيث و عند التقاء الصّفين للشهادة". (المصدر نفسه: ٤٧٧)
٤. أن يكون في حالات معينة: قال أبو عبد الله(ع): "إذا اقشعر جلدك و دمعت عيناك فدونك دونك، فقد قصد قصدك". (المصدر نفسه: ٤٧٨)

٥. أن يكون على يقين: قال أبو عبد الله: "إذا دعوت فظن أن حاجتك بالباب". (المصدر نفسه: ٤٧٣)
 ٦. أن ينبعث من قلب صاف: فقد ورد في الحديث: "إن الله لا يستجيب دعاءً يظهر قلب قاس".
 (المصدر نفسه: ٧٤٧)

٤- الخطبة: استخدم الخطاب الإسلامي الأدبي فن الخطبة باعتبارها نوعاً أدبياً يؤثر في النفوس، كونها تعتمد على الإثارة العاطفية للإقناع؛ أما الإقناع فيتم بطريقة مخصوصة يوضحها أحد النقاد المعاصرين قائلاً: "الإقناع في الخطبة يكون عن طريق العمل و عن طريق القلب كذلك، فالخطيب يؤثر في أفكار سامعيه، و من ثم يدخل في قلوبهم و يستميلهم ثم يحملهم على التصديق و على العمل". (الخياط، ١٩٧٩: ٢٣٣)

للعاطفة الدور الأبرز في فن الخطابة بوجه عام و في الخطاب الديني بوجه خاص؛ فالخطيب يهدف إلى تحويل الأفكار إلى عواطف موظفاً في ما يرمي إليه من غرض عاطفي كافة الوسائط و الإمكانيات الفنية المتاحة "فالإمام علي (ع) في خطبة الجهاد لم يكن يحاول أن يفهم المقاتلين معنى التقوى بقدر ما يسعى لاستثارة تلك العاطفة، مصوراً لهم الجنة و عذاب النار و ذل القاعدتين عن الجهاد حتى ينتقلوا من طور السلبية من الخمول و العصيان و الشعب إلى الجهاد و الصبر و الطاعة". (الخواوي، ١٩٩٧: ٩)
 كنموذج لهذا الفن نورد مقطعاً من خطبة لعلي بن أبي طالب (ع)، يرغب فيها المخاطبين في النظر إلى آثار صنع الله في الكون، ليهتدوا من خلاله إلى معرفة التوحيد و عظمة الخالق، يقول الإمام (ع) واصفاً الجراد: "و إن شئت قلت في الجراد إذ خلق لها عينين حمراوين و أسرج لها حدقتين قمرأوين، و جعل لها السمع الخفي و فتح لها الفم السوي و جعل لها الحس القوي، نالين بما تقرض و منجلين بما تقبض، يرهبا الزارع في زرعهم و لا يستطيعون ذبها و لو أجليوا بجمعهم، حتى ترد الحرت في نزواتها و تقضي منه شهواتها، و خلقتها كله لا يكون اصبعاً مستديراً". (فتح البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٥)
 لا يخفي على السامع الواعي بأسرار الأدب و رموزه مدى تأثير هذه الخطبة الوصفية الغراء في النفوس و العقول، حيث تميج الوجدان جمالياً و العقل دلالياً، راسمة له عبر هذا الفن قدرة الباري - عزوجل - في صنعته العجيبة.

و من روائع الخطب التي تنم عن تنوع الخطاب في هذا المضمار، خطبة ألقاها حسين بن علي (ع) يوم عاشوراء بعد أن تعاطم شعوره بالظلم و الغدر، غدر اتباعه الذين كتبوا إليه و غرّوا به، و غدر سائر المسلمين لبيهم بقتل سبطه بعد التناكر له:

"أما بعد، فانسوني وانظروا من أنا، ثم راجعوا أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي، وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه و أول المؤمنين بالله و المصدق لرسوله بما

جاء به من عند ربّه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّي؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله (ص) لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدّقتموني فيما أقول - وهو الحقّ - والله ما تعمّدت الكذب منذ علمتُ أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، و أبا سعيد الخدري و سهل بن سعد الساعدي، و زيد بن أرقم و أنس بن مالك يخبروكم أنّهم سمعوا تلك المقالة من رسول الله (ص) لي ولأخي. أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي؟". (المجلسي، ١٩٧٩: ٤٥/٦)

محلل ايليا الحاوي هذه الخطبة قائلاً: "فهذه الخطبة هي خطبة اليأس، يأس القائد المخدول، الشاعر بالقهر والقسر، و تبدل أحوال الناس أخلاقهم، و لا يقفون لمبدأ و لا يصمدون لعقيدة، بل يساقون و يجرّون كمن لاعقل و لا اختيار لهم، يؤثرون السلامة في الباطل على الكفاح في الحق، و لا يأنفون من الغدر بعد بيعة و إثارة، فقدوا الدهشة و التروع أمام الشر والعار، يحدق بهم الحسين، فتطالعه في سماء التنكر، كأنهم لم يحضوه و لم يستفزه، فوجه الحياة لم يتغير بل وجوه أبنائها هي التي تغيرت و تبدلت. كانت وجوههم وجوه المعروف فعدت وجوه المنكر القبيح، كانت تبدو عليهم سيماء الشهامة و الكرامة، فعدت رؤوسهم كرؤوس العبيد، فتلك الدنيا هي دنيا المرارة القاسية، يتجرّعها أصحاب العقيدة والحق". (الحاوي، ١٩٩٧: ٢٢٣)

٢-١-٥. إشكالية فن الخطابة

مع كل ما يحظى به هذا الخطاب من جمال بياني و أثر عاطفي و توجيه تربوي إلا أن هناك إشكالية تطرح نفسها في هذا الموقف و هي أن هذا النوع من الخطاب يتمتع بحساسية فائقة مع أنه يتلمس واقع حياة الناس اليومية و يعايشها و تتمثل هذه الحساسية في سهولة استغلاله من قبل جهات سلطوية يعينها، كما نلاحظ في عصور متعاقبة من أموية و عباسية و غيرها إذ تحول بعض الخطباء إلى موظفين حكوميين لا عمل لهم سوى تزييف و عي الجماهير و تبرير سياسات السلطة و ممارسة إقصاء الآخر و استبعاده و تهميشه، بل عدم السماح له أن يدلي بصوته أو يشرح فكره، و كانت من نتائج مثل هذه السياسات ظهور عقليات لا تمارس عملها لا من خلال أجواء ضبابية عكرة تجعل الحقيقة هي الضحية الوحيدة التي ينتهي دورها.

٥- الشعر: قد يحرص الخطاب الإسلامي الأدبي على اللون الشعري في مخاطبة الآخرين نظراً لما يملكه الشعر من إمكانات تصويرية و إيقاعية تنير الأحاسيس و تستهوي القلوب.

٢-١-٦. جدل المشروعية

ثمة جدل قائم في الأوساط الدينية قديماً و حديثاً حول مشروعية الفن الشعري في الخطاب الإسلامي، فهناك من ينحاز إلى الرافضين له مستنداً إلى آيات نفت عن الرسول(ص) صفة الشعر و الشعاعية و كذلك ما نقل عن الرسول(ص) من روايات في هذا الشأن، مثل قوله(ص): "لئن امتلاً جوف أحدكم قبحاً خيراً من أن يمتلىء شعراً". (الحر العاملي، ١٤١٠: ٧ / ٤٠٥)

كما يستند الرافضون في رفضهم للشعر إلى إحدى الخصائص الإيقاعية له المتمثلة في "السجع" الذي يذكّر بسجع الكهان في الجاهلية و ما كان يرافقها من سلوكيات و حالات غير سوية، كما يشيرون في رفضهم إلى أن الشعر كان الفن الوحيد الذي عارض به بعض المشركين القرآن و الدين الجديد و يذكر بعضهم في رفضه الحالة النفسية الفردية التي يتجشمها الشاعر لدى قول الشعر و عند عملية التخيل المضنيء و يشير إلى الأضرار التي تنجم عن ضغوطات ناجمة عن هذه العملية و إرهابه للجسد و كذلك استغراق أصحاب القول الشعري في الوهم و الخيال، الأمر الذي يتعارض مع الواقعية و الموضوعية التي تؤكد عليها الشريعة لتلقى التوجيه و الإرشاد، كما يعززون موقفهم الرفض إلى استعمال الشعراء الفاظ السبّ و الفحش و كذلك تصويرهم للمشاهد غير الأخلاقية التي نراها عند بعضهم من مثل قول طرفة بن العبد:

و مازال تشرابي الخمر و لذّي و بيعي و إنفاقي طريفني و متلدي
إلى ان تحامتي العشيرة كلها و أفردت أفراد البعير المعبد
(طرفة بن العبد، ٢٠٠٢: ٢٥)

فهناك إذن أسباب نفسية و اجتماعية و فنية و أخلاقية جعلت هؤلاء المعارضين يرفضون الشعر على أساسها. و هناك في صف المؤلفين من ينتهج نهجاً مغايراً في التعامل مع هذا اللون الفني حيث يستندون في إثباتهم له إلى أسباب اجتماعية و إعلامية و عاطفية و تاريخية؛ فهم يعتبرون الشعر ظاهرة تتمتع بامكانيات عديدة لنشر الفضيلة فهو أفضل وسيلة يمكن استثمارها في عملية الدعوة إلى الرشده نظراً لتأثيره البعيد في الوجدان و استهوائه القلوب و يؤكد أصحاب هذا التوجه أنه لا بدّ من استثماره للغرض السامي الذي يصبو إليه الخطاب الديني ألا و هو صنع الإنسان و ترفيته إلى مراتب الكمال، كما أنهم يرجعون سبب رفض الرسول(ص) للشعر في صدر الإسلام إلى أسباب، منها قرب عهد الإسلام بالعصر الجاهلي حيث كان سلطان الشعر يطغى على كل فن كلامي؛ فكان الترويج له يأتي على حساب الدين الفتي الذي يرسى دعائم حياة جديدة من خلال طريقة قولية جديدة ليست بالشعر

و لا بالشر، ثم "إنّ القرآن الكريم لم يصدر حكماً بعينه على الشعر و الشعراء و لم يتخذ منه موقفاً خاصاً و إنما نفى عن النبي(ص) مرة بعد أخرى أن يكون شاعراً من الشعراء و أن تكون رسالته كرسالتهم ﴿... إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾. [يوسف: ١٠٤] (القط، ١٩٨٧: ١٢)

فما ورد من إشارات حول الشعر و الشعراء حسب هؤلاء - لا يعنى رفض الشعر "فلم يعادي القرآن الشعراء و إنما كانت إشارات لهذيب الشعر و وضع حدّ لقول الزور و الفحش عند بعض الشعراء". (الطريفي، ٢٠٠٩: ١٠)

أمّا فيما يتعلق بما روي عن النبي(ص) أنه قال: "لئن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً، خيرٌ من أن يمتلىء شعراً". قال الشريف الرضي: "المراد النهي عن أن يكون حفظ الشعر أغلب على قلب الإنسان، فيشغله عن حفظ القرآن و علوم الدين". (الشريف الرضي، ١٣٨٠هـ - ش: ١١١ / الحديث: ٧٨)

هناك قصائد هادفة ساهمت فعلاً في تربية النفوس و نفيها عن منازعتها الشريرة و لو لفترة قصيرة، و الشاهد على ذلك رواية معروفة تبين بوضوح كيفية تأثير قصيدة شعرية في قلوب المستمعين، تقول الرواية: أقام المتوكل العباسي محفلاً للهو و الفجور و الطرب و السرور و كان قد أمر باحضار الإمام على بن محمد الجواد(ع) إلى مجلسه ليسيء إليه، فلمّا حضر الإمام(ع) دعاه المتوكل و قدم إليه كأس الخمر، فتعفّف الإمام(ع) من شربه و عند ما رأى امتناع الإمام(ع) طلب منه أن ينشده شعراً، فأنشد الإمام أبياتاً من الشعر قوية مؤثرة و مخزنة قد أثرت على الحضور و الخليفة خاصة تأثيراً بعيداً حيث ما انتهى الإمام(ع) من إنشاد شعره حتّى أخذت الدموع تنسكب من مآقيهم و تبلّت الحدود و اللّحي، و حتّى الخليفة نفسه ذرفت عيناه دموعاً بعد أن انتشت بحدّة الخمر و بعد أن ملأت القهقهة شديقه، و كان لهذا الإنشاد تأثيراً جعل الخليفة يرمي كأس الخمر و كاد يغمي عليه حزناً و تأثراً. و هذا هو نص الرواية كما نقلها المسعودي في مروج الذهب، مع أبيات القصيدة: "... قال له المتوكل: أنشدني شعراً! فقال(ع): إني قليل الرواية للشعر، فقال لا بدّ، فأنشد و هو جالسٌ عنده:

باتواعلى قلال الأجمال تحرسهم	غلب الرجال فلم تنفعهم القلال
و استترلوا بعد عزّ عن معاقلهم	و أسكنوا حفراً يا بئس ما نُزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم	أين الأساور و التيجان و الحُلل
أين الوجوه التي كانت منعمّة	من دوها تضرب الأستار و الكُلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما عمروا دهرًا و قد شربوا فأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا
 و طالما عمرووا دورًا لتسكنهم و ففارقوا الدّور والأهلين و انتقلوا
 و طالما كثروا الأموال و أدخروا ففرفقوها على الأعداء و ارتحلوا
 أضحت منازلهم قفراً معطلة و ساكنوها إلى الأحداث قد نزلوا"
 (المسعودي، ١٩٥٨: ٤/١٢٠)

كفانا دليلاً على تأثير الشعر المهادف مثل هذه القصيدة التي هزّت و بقوة مشاعر الجالسين بالنادي، و
 حوّلتهم من أجواء السرور والفرح و الضحك إلى أجواء الحزن و الأسف و البكاء.
 ٦- المناظرة: يعد الاحتجاج العقلي هو الآخر من الأساليب الخطابية الهامة التي يوظفها الخطاب
 الإسلامي الأدبي للتواصل مع المتلقي و التأثير فيه، و يأتي هذا الأسلوب تحت عنوان المشتبه في تاريخ
 الفكر الإسلامي بفن "المناظرة" و إنه فنٌ يتسم بالجمالية يقول أحد النقاد المعاصرين في تعريف هذا
 الفن: "المناظرة نوعٌ من المحاضرة يشترك فيما اثنان أو أكثر، و يتخذ كلٌّ موقفاً معيناً يدافع عنه
 بالأدلة و البراهين و يحاول قدر استطاعته و مهارته أمرين واضحين: تأييد رأيه و تحطئة رأي الفريق
 الآخر". (عبدالنور، ١٩٧٩: ٢٦٧)

٢-١-٧. الانطلاقة التاريخية

لقد فجر الرسول الأكرم(ص) طاقات علمية هائلة مهّدت الأرضية لظهور تنوع ثقافي ديني بديع في
 مختلف حقول الفكر و المعرفة قد استقى منها علماء الأرض في مشارقها و مغاربها و كان من جملة
 هذه الثقافات، تلك المناظرات التي جرت بين العلماء في ملة الإسلام بل بينهم و بين أصحاب
 الفرق و الديانات الأخرى و شملت هذه المناظرات شتى الفنون و المعارف "و قد كان العصر
 العباسي مسرحاً للاحتجاجات و المناظرات في المسائل الكلامية و الفلسفية و قد شهدت أروقة
 البلاط العباسي أيام الرشيد و المأمون ألواناً ممتعة من المناظرات التي أقامها الخلفاء و وزراءهم".
 (حسن، ١٣٨٢هـ ش: ٧/١)

ثمة في القرآن الكريم و كذلك في الحديث الشريف مناظرات رائعة، و النموذج القرآني الأبرز، هو
 محاجة سيدنا إبراهيم(ع) مع سراة قومه حيث تحدّاهم بعد أن هدم أصنامهم التي كانوا يعبدونها عن
 جهل و ضلالة: ﴿قَالُوا يَا أَبَتِ هَذَا تَأْتِنَا تَأْتِرْهَيْمُ ﴿٦٦﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَغْلِبُوهُمْ
 إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ ﴿٦٧﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ

لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٧﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾. [الأنبياء: ٦٧-٦٢] هكذا يقاسم المتكلم المتلقيين أرضية ملائمة للتفاهم و ينطلق من مقدمات يدركها المخاطب، مثل الواقع و الحقائق الكونية و القيم العليا المشتركة أو المواضيع المدركة من الجميع و يرتبها ترتيباً خاصاً. أطلق على هذا النوع من المناظرة أو الحجاج اسم نظرية المساءلة و مجمل هذه النظرية هو أنها "قائم على أنّ الحجة جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمناً من الجواب و يكون ذلك في ضوء المقام و بوحى منه، فالسؤال مشكلة تتطلب حلّاً و المتلقي يقرأ أجوبة و من خلالها يطرح أسئلة مستعينة بالمعطيات التي يقدمها المقام، و مثلما يكون الضمني في صميم الظاهر و يشف عنه المقام، يمكن السؤال في صميم الجواب و يقع عليه المتلقي بمساعدة ذلك المقام، و يبدو أن كثيراً من تراكيب القرآن تستجيب طريقة بنائها لمفهوم الحجاج متراً في إطار نظرية المساءلة". (زرزومي، ٢٠١١: ٢٤٠)

أما في الحديث فهنالک روايات وردت عن أئمة أهل البيت (ع) في شكل المناظرات، بل هي في الأصل مناظرات جرت بينهم و بين أصحاب الملل و النحل، كما نلاحظ في المناظرة التالية بين الإمام على بن موسى الرضا (ع) و بين جاثليق رأس النصارى في مجلس الخليفة العباسي مأمون حيث يخاطبه الإمام (ع) قائلاً: "... يا نصراني - والله - إنا لنؤمن ببعيسى الذي آمن بمحمد (ص) و ما ننقم على عيسى شيئاً إلاّ ضعفه و قلة صيامه و صلواته.

قال الجاثليق: أفسدت - والله - علمك وضعفت أمرک و ما كنت ظننت إلاّ أنت أعلم أهل الإسلام. قال الامام الرضا (ع): كيف ذلك؟ قال الجاثليق: من قولك أنّ عيسى كان ضعيفاً، قليل الصيام و الصلّاة و ما أظّر عيسى يوماً قطّ و ما نام بليل قطّ، و مازال صائم الدهر قائم الليل. قال الامام الرضا (ع): فلمن كان يصوم و يصليّ؟ فخرس الجاثليق". (الطبرسي، ١٤١٣: ٢/٤١٨)

٢-١-٨. التنوع الأسلوبي

تنوعت أساليب المناظرة حتى سلكت طريقها إلى الأدب عامة و الشعر خاصة. فقد قال الشريف الرضي في بيتين له عن قول أمير المؤمنين: "واعجباً تكون الخلافة بالصحابة و لا تكون بالصحابة و القرابة" (نهج البلاغة، الحكمة رقم: ١٩٠) روي الشريف الرضي شعر في هذا المعنى:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا و المشيرون غيب

و إن كنت بالقربي حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب
(نمج البلاغة، ذيل الحكمة رقم: ١٩٠)

إذن المناظرة طريقة ناجحة من طرائق التعبير، فهي - كما قلنا - يستخدم الحجج والبراهين العقلية و المنطقية لمد جسور التواصل بينها و بين المتلقي بقصد التأثير و الإقناع.

٢-٢. الفنون الأدبية

١- التهكم: يعد التهكم من الاساليب الرائعة التي وظّفه الخطاب الإسلامي الادبي لأغراض مقدسة. و من القدماء عرف يحيى بن حمزة العلوي التهكم بقوله: "هو التفعّل من قولهم "تهكمت البئر" إذا تساقطت جوانبها، و هو عبارة عن شدة الغضب؛ لأن الإنسان إذا اشتدّ غضبه فإنه يخرج عن حدّ الاستقامة و تتغير أحواله. و هو في مصطلح أقوال علماء البيان عبارة عن إخراج الكلام على ضدّ مقتضى الحال استهزاءً بالمخاطب. و دخوله كثير في كلام الله - تعالى - و كلام رسوله (ص) و على ألسنة الفصحاء، و له موقع عظيم في إفادة البلاغة و الفصاحة". (العلوي، ٢٠٠٢: ٩١/٣)

و قد استخدمه الخطاب الإسلامي لتعميق الرؤية في المتلقي و إثارة العاطفة الدينية فيه، و نماذج ذلك كثيرة في القرآن و الحديث، منها مناقشة سيدنا إبراهيم (ع) عبدة الأصنام، عندما قالوا له: ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِفَاهِنَاتِنَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ ١٠٠ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَعَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَظُنُّونَ﴾ ١٠١. [الانبيا: ٦٢-٦٣]

حيث استطاع أن يسخر منهم عبر هذا التهكم كذلك قوله - تعالى - عن لسان أهل النار: ﴿... وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] فهم يطلبون الاستعانة بضراعة فتتم إعاتتهم فعلا و لكن بماء كالمهل، و هذا الرد هو قمة السخرية و الحطّ من شأن هؤلاء المستغيثين؛ و ثمّة نوع من التهكم ينطوي على تضاد بين ظاهر الكلام و باطنه كقوله - تعالى - في شأن المنحرفين الضالين: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤]. ففي الآية تضادّ بين "بشّرهم" و "العذاب" و هذا نوع من الخطاب ينمّ عن التهكم اللاذع بالقوم.

و قد استخدم أئمة أهل البيت (ع) هذا الأسلوب في سياق خطابهم الديني لأغراض عقائدية و غايات تربوية كما نلاحظ في الحديث التالي: "عن جميل قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عزّ و جلّ: ﴿... فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾. [النجم: ٣٢] قال (ع): قول الإنسان: صليت

البارحة و صمت أمس، فقال الامام(ع): لكني أنام الليل و النهار و لو أجد بينهما شيئاً لنمته". (المجلسي، ١٤٢٣: ٣٢٤/٧٢) ينطوي هذا الخطاب التهكمي - كما هو واضح - على توجيه تربوي يرمي إلى تعديل سلوك الإنسان و تحذيره من الوقوع في المرء الذي يهدر بالعمل.

من التهكم الناعم هذه الرواية: "جاء فقير عند الامام الرضا(ع) و قال له: أعطني على قدر مروّتك، فأجابته الإمام: لا يسعني ذلك فالتفت الفقير إلى خطأ كلامه، فقال ثانياً: أعطني على قدر مروّتي. فقال(ع): إذن، نعم". (المصدر نفسه، ١٤٢٢: ١٠٠/٤٩)

و من روائع التهكم الناعم ما قاله على بن أبي طالب(ع) ردّاً على مطلب طلحة و زبير حيث قالاً له: "نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر. فقال الإمام(ع): لا و لكنكما شريكان في القوة و الاستعانة، و عونان على العجز و الأود". (نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٢٠٢)

يقول إنّما تشركانني في القوة و الاستعانة أي إذا قوي أمري و أمر الإسلام بي قويتما أنتما أيضاً و إذا عجزت عن أمر أو تأوّد على أمر - أي اعوجّ - كنتما عونين و مساعدين على إصلاحه و لا يخفى ما في هذا التعبير من فن "أسلوب الحكيم" أيضاً.

فالتهكم هو الآخر أسلوب أدبي ناجح و مؤثر باعتباره منبهاً قويا من المنبهات التربوية التي أدرك الخطاب الإسلامي الأدبي أهميتها فوظفها توظيفاً ذكياً لأغراضه المقدسة.

٢- الحوار: لئن الحوار النصيب الأوفر من بين أساليب الكلام في القرآن الكريم و كذلك في روايات المعصومين(ع). يتميز الحوار بكونه طريقة أدبية أخاذة تطلعننا على مختلف الرؤى و المواقف الماثلة في الحياة، أما مضامين الحوارات فهي أيضاً متنوعة في الخطاب الأدبي الإسلامي؛ فهناك حوارات تربوية و عقائدية و فقهية و كلامية و غيرها حسب الغرض الذي يرسمه و يرمي إليه المتحاورون. هنا نستعرض بإيجاز حواراً عقائدياً جرى بين مؤمن من آل فرعون كشخصية إيجابية و بين أبناء قومه كشخصيات حيارى واقفة على مفترق الطرق في اختيار الطريق القويم أو البقاء على الضلال الميّن؛ و هذه هي الآيات الخمسة لهذا الحوار و قد جاءت على شكل حوار فتى ممتنع: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٧٨﴾ يَنْقُومُ لَكُمْ أَلْمَلِكُ أَلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ

﴿١٣٨﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿١٣٩﴾ وَيَقَوْمِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿١٤٠﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مَدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴿١٤١﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
هَادٍ ﴿١٤٢﴾. [الغافر: ٢٨-٣٣]

أخذ المؤمن من آل فرعون في هذا الحوار قومه بالاحتجاج في محاولة لإقناعهم بثلاث طرق هي:
الاحتجاج بالعقل والمنطق، إثارة العاطفة والوجدان والإشارة التاريخية واتخذ من هذه الطرق الثلاثة
التي تعدّ إحدى مصاديق التنوع الأسلوبي وسيلة للدعوة والارشاد.

أما في السنّة الشريفة، فثمة كثير من الروايات تمّ فيها إستخدام أسلوب الحوار؛ منها الرواية التالية
وهي حوار تربوي: روي عن الامام(ع) أنه قال: "يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي افتتنت في
حسنها، فتقول: حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت. فيجاء بمريم(ع) فيقال: أنت أحسن أم هذه؟ قد
حسنّاها، فلم تفتتن، و بجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه فيقول: يارب! أحسنت خلقي
حتى لقيت من النساء ما لقيت، فيجاء بيوسف(ع)، فيقال: أنت أحسن أم هذا؟ قد حسّناه فلم
يفتتن. و بجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه، فيقول: يارب! شدّدت على البلاء حتى
افتتنت، فيجاء بأيوب(ع) فيقال: أبليتك أشدّ أو بلية هذا؟ فقد ابتلي فلم يفتتن". (الكليني، ١٣٨١:
٢٢٨/٢) فقد أدار الامام(ع) هنا حواراً قصصياً واقعياً، ذا مضمون أخلاقي يوجه المخاطب توجيهها
تربوياً.

و من أروع الحوارات الفقهية تلك التي جرت بين الإمام الصادق(ع) وأبي حنيفة بن النعمان،
حول قاعدة "القياس" الفقهية ومدى موضوعيتها، ها هو مقطع منه:
"قال أبو حنيفة: أنا صاحب قياس.

قال أبو عبد الله(ع): فانظر في قياسك إن كنت مقيساً، أما أعظم عند الله القتل أم الزنا؟
قال: بل القتل.

قال(ع): فكيف رضي في القتل بشاهدين و لم يرض في الزنا إلا بأربعة، ثم قال(ع): الصلاة أفضل أم
الصيام؟

قال: بل الصلاة أفضل.

قال(ع): فيجب على قياس قولك على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام
وقد أوجب الله - تعالى - عليها قضاء الصوم دون الصلاة". (الطبرسي، ١٤١٣: ٢٧٠/٢-٢٧٤)

فالحوار شأنه شأن القصة و سائر فنون لون من ألوان التنوع الأسلوبي في الخطاب الإسلامي

الأدبي، علماً بأن الحوارات الإسلامية تتسم بخصائص فنية و دلالية تنبع أساساً من رؤيتها المختلفة نحو العالم و الإنسان و هذا ما يميزها عن مثيلاتها في النتاجات البشرية الأخرى.

٢-٢-١. لفظة بلاغية

لا تنحصر الحوارات في الخطاب أياً كان هذا الخطاب في شكلها التقليدي المباشر و إنما تكمن أيضاً في بيانات مجازية كما نلاحظ في الصورة الاستعارية، حيث تتضمن نوعاً من الحوار غير المباشر و "توضح حوارية الاستعارة في تعدد ذوات المرسل عند اختياره للاستعارة في حجاجه دون غيرها انطلاقاً من النظر في المعنى الحقيقي في حال إظهاره و تأويله، و في المعنى المجازي في حال إضماره و تبليغه و ذلك بالتقلب بين هذه الأدوار الأربعة". (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤: ٣٢٠) هكذا يتم التوسع في مفهوم الحوار الذي يتأرجح بين المباشر و غير المباشر؛ كما يمكن بهذا الكشف عن مجالات جديدة لأساليب كلامية تقليدية التي يستثمرها الخطاب الإسلامي الأدبي.

٣- الأسلوب العلمي المتأدب: تتميز هذه الطريقة الكلامية بعلميتها و أدبيتها في ذات الوقت، فكثير من الروايات تدرج تحت هذا العنوان؛ منها قول علي بن ابي طالب (ع) في نهج البلاغة: "الغيبة جهد العاجز". (نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٤٦١) يتمثل التنوع الأسلوبي في هذا القول في أنه يكشف عن واقع علمي متعلق بنفسية الإنسان، حيث إن الغيبة منقصة نفسية مبعثها عجز المعتاب عن نيل ما يريد. هذا فيما يتعلق بالجانب العلمي من النص؛ أما أدبيته فتتمثل في أنه يستنكر بشكل ضمني و لا صريح ظاهرة الاغتياب بصفتها حالة مرضية تشيع في المجتمع روح التشاؤم و سوء الظن.

ثمّة جانب أدبي آخر نلمحه في هذا القول الكريم و هو الجوّ الإيقاعي السائد عليه؛ فالإيقاع هو من أهمّ سمات النص الأدبي. و من النماذج الرائعة لهذا الفن الكلامي، قول الإمام الرضا (ع) في جواب أحداهم حيث طلب من الامام (ع) أن يصف الربّ سبحانه و تعالى. تقول الرواية: "قام رجل إلى الرضا (ع) و قال له: يا ابن رسول الله! صف لنا ربّك، فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا، فقال الرضا (ع): إنه من يصف ربّه بالقياس، لا يزال الدهر في الالتباس، ماثلاً عن المنهاج، طاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قاتلاً غير جميل، أعرفه بما عرّف به نفسه من غير رؤية و أصفه بنا و صف به نفسه من غير صورة: لا يدرك بالحواس، و لا يقاس بالناس، معروفٌ بغير تشبيه و متدان في بعده لا بنظير، لا يمثل بخلقته، و لا يجوز في قضيته، الخلق إلى ما علم منقادون، و على ما سطر في المكنون من كتابه ماضون، لا يعلمون خلاف ما علم منهم و لا غيره يريدون، فهو قريب غير ملتزق،

وبعيد غير متقص، يحقق ولا يمثّل، ويوحّد ولا يبعّض، يعرف بالآيات ويثبت بالعلامات، فلا إليه غيره الكبير المتعال". (المجلسي، ١٩٧٩: ١٢/٣)

إنّ الإيقاع الخارجي في هذا النص يلوّن أجواءه و ينوعه. يظهر هذا الإيقاع جلياً في سجع و حناس و مقابلة و توازن؛ أما الإيقاع الخارجي فنجدّه في التناغم الموجود بين الشكل و المضمون أو اللفظ و المعنى. هذا فيما يتعلق بالصياغة الأدبية للنص؛ أما المضمون فهو عقائدي، فجاءت معالجة الامام (ع) لهذا المضمون منطقية عقلية، إذ حشر الشكل و المضمون في قالب واحد يزيد من روعة النص و طلاوته مبدعاً بذلك تنوعاً أسلوبياً أخاذاً.

٤- تصوير مسرح الجنة و النار: لعلّ تصوير مسرح الجنة و النار هو من أبعد الأساليب الخطابية التواصلية تأثيراً في المستمع؛ ففي القرآن الكريم آيات متعددة ترسم صوراً حية لهذين المسرحين اللذين يعثان الرهبة في النفوس. قال تعالى مصوراً مشاهد الجنة و النار: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿١٠٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَنَافِثٌ ﴿١٠١﴾ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴿١٠٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٠٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ لِلْإِسْرِ ﴿١٠٥﴾ أَلَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿١٠٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتَهُ وَلكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٠٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿١٠٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿١١٠﴾ وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿١١١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿١١٢﴾ مَن حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿١١٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿١١٤﴾ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿١١٥﴾﴾ [ق: ٣٥-٢٠]

في النص مشاهد مهولة ترتعد لها فرائص المخاطب خوفاً من النار، كما فيه مشاهد أخرى تطير لها القلوب شوقاً إلى الجنة. و هو (النص) عموماً رسالة جادة موجهة إلى قلوب تدرک مغزاها و محتواها، فتعامل معها تعاملًا يخلصها من عذاب النار.

أما في السنة الشريفة فثمة توصيفات مدهشة لمسرحي الجنة و النار، منها توصيف أبده على بسن أبي طالب (ع) في عرض بعض مشاهد الجنة، حيث يقول: "فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها و لذاتها، و زخارف مناظرها، و لذهلت بالفكر في اصطفاق أشجار غيبت عروقها في كتيبان المسك على سواحل أثمارها و في تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليحها و أفنانها، و طلوع تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها، تجنى من

غير تكلف فتاتي على منية مجتنيها، و يطاف على نزالها في أفنية قصورها بالأعسال المصفقة، و الخمور المروقة قوم لم تزل الكرامة تتماذى بهم حتى حلوا دار القرار، و أمنوا نقلة الأسفار فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة، لزهقت نفسك شوقاً إليها، و لتحملت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً بما جعلنا الله و اياكم ممن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته. (هج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٥)

و من بديع ما وصف به مسرح النار، ما رسمه الإمام زين العابدين(ع) في معرض إحدى أدعيته الواردة في كتاب الصحيفة السجادية، حيث قال(ع): "اللهم إني أعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك، وتوعدت بها من صدف عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة، وهينها أليم، وبعيدها قريب، ومن نار يأكل بعضها بعض، ويصلو بعضها على بعض، ومن نار تذر العظام رميماً، وتسقى أهلها حميماً، ومن نار لا تبقى على من تضرع إليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها واستسلم إليها، تلقى سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال شديد الوصال، وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها، وحياتها الصالقة بأنبيائها، وشرائها الذي يقطع أمعاء وأفئدة سكانها، ويزرع قلوبهم وأستهديك لما باعد منها، وأخر عنها". (الصحيفة السجادية، الدعاء رقم: ٣٢)

و لا يخفى ما لمفردة "النار" في خطاب الدعاء الإسلامي من دلالات تربوية، فقد تضطلع النار في هذا الخطاب بدور رئيس حيث تعمل كمنبّه نفسي يبعث على الترهيب الذي يعدل النفس إلى جانب الترغيب سعياً لإيجاد متلق سوي روحياً و وجدانياً لقبول الخطاب الموجه إليه.

مستخلص البحث و توصيات

نستنتج من هذه المعالجة الخاطفة لأهم الأساليب الكلامية في الخطاب الإسلامي الأدبي، أن هذا الخطاب يوظف مختلف الطرق والآليات الكلامية و يتعاطى مع جميع الوسائط التواصلية لتعميق الدلالة في النفوس، تمهيداً للتأثير فيها و من ثم تهذيبها، مما يدل بوضوح على اهتمام الخطاب الإسلامي الأدبي بالأنواع و الفنون الأدبية و الأساليب الكلامية في سبيل الدعوة و الإرشاد و التوجيه التربوي، كما يدفع عن هذا الأدب شبهة التوقع و الاهتمام بالمضمون فقط. مع ذلك فإن الأديب في هذا الخطاب مطالب بأن يكون ملتزماً بالإسلام و ملتزماً بالحياة و قبل ذلك أن يكون ملتزماً بالله خالق الإنسان و خالق الحياة، لذلك فإن ملامح الخطاب الأدبي الإسلامي تنطلق من خلال ملامح الخط الإسلامي في المسألة القيمية و الإنسانية و في نظرة الإنسان إلى الحياة في كل جوانبها.

و لم يزل هناك متسع من العمل للباحثين لخوض غمار هذا البحث خاصة في ضوء ما أتخفنا علم اللسانيات الحديثة بمختلف فنونها و أفانها من علم الخطاب و علم النص و علم الأسلوب و غيرها فيمكنهم استثمار التراث بالاستفادة من هذه العلوم للخروج بنموذج للخطاب الإسلامي الأدبي أو النظرية الأدبية الإسلامية.

و لا تفوتنا الإشارة فيما يتعلق بالتوصيات أن هنالك في التراث الإسلامي و خاصة الشيعي كم هائل من المادة الخصبية التي تتيح للبحث عن جديد الإبداع و تمهد للتقريب عما هو يثري الخطاب الإسلامي الأدبي، من هذا المنطلق يوصي الباحثون أن يفرغوا لهذه المادة معالجة و لهذا التراث الحي النابض بالحياة تكريساً و بلورة. و الله من وراء القصد.

المراجع

- * - القرآن الكريم.
- * - نهج البلاغة.
- * - نهج الفصاحة.
- * - الصحيفة السجادية.
- ١. أبو زيد، نصر حامد (٢٠٠٣ م)، نقد الخطاب الديني، الطبعة الرابعة، القاهرة: منشورات مكتبة مدبولي.
- ٢. ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد (١٩٦٣ م)، النهاية في غريب الحديث و الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطنابي، القاهرة: عيسى البابي الحلبي.
- ٣. ابن ظافر الشهري، عبد الهادي (٢٠٠٤ م)، استراتيجيات الخطاب، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحد.
- ٤. ابن منظور (١٤٠٥ هـ.ق)، لسان العرب، قم: نشر ادب الحوزه.
- ٥. البستاني، محمود (١٤٠٩ هـ.ق)، الإسلام و الفن، الطبعة الأولى، مشهد: منشورات مجمع البحوث الإسلامية.
- ٦. الحاوي، ايليا (١٩٩٧ م)، فن الخطابة و تطوره عند العرب، الطبعة الأولى، بيروت: دار الثقافة و النشر و التوزيع.
- ٧. الحجيلان، ناصر (٢٠٠٩ م)، الشخصية في قصص الأمثال العربية، الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي، دار البيضاء.

٨. الحر العاملي، محمد بن الحسن (١٤١٠هـ.ق)، وسائل الشيعة، الطبعة الأولى، قم.
٩. حسن، عبدالله (١٣٨٢هـ.ش)، مناظرات في العقائد والأحكام، الطبعة الأولى، منشورات دليل ما.
١٠. خضر، محمد مشرف (٢٠٠٤م)، بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، القاهرة: دار العواصم للنشر و التوزيع.
١١. الخطابي، محمد (٢٠٠٦م)، لسانيات النص، الطبعة الثانية، بيروت: المركز الثقافي العربي.
١٢. الخياط، جلال (١٩٧٩م)، تاريخ الأدب العربي الحديث، الطبعة الثانية، بغداد: وزارة التربية العراقية.
١٣. زردوزي، اسماعيل (٢٠١١م)، المناهج النقدية المعاصرة و النص القرآني، الطبعة الأولى، اندونيسيا: مجلة دور اللغة العربية في عملية البناء الحضاري، المؤتمر الدولي السابع للغة العربية.
١٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله (١٩٨٨م)، البرهان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٥. السبحاني، الشيخ جعفر (١٣٨٨هـ.ش)، الإلهيات، تقارير الشيخ حسن محمد مكّي، الطبعة السابعة، منشورات: الإمام الصادق.
١٦. الشريف الرضي، محمد بن حسين (١٣٨٠هـ.ش)، المجازات النبوية، دارالحديث للطباعة و النشر.
١٧. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه (١٤١٨هـ.ق)، معاني الأخبار، الطبعة الرابعة، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
١٨. الطبرسي، احمدعلي بن أبي طالب (١٤١٣هـ.ق)، الاحتجاج، الطبعة الأولى، طهران: منشورات أسوة.
١٩. طرفة بن العبد (٢٠٠٢م)، ديوان الطرفة، شرحه و قدّم له مهدي محمد ناصرالدين، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٠. الطريفي، عطا (٢٠٠٩م)، شعراء عصر صدر الإسلام، الطبعة الثانية، عمان: الأهلية للنشر و التوزيع.
٢١. عبدالنور، جئور (١٩٧٩م)، المعجم الأدبي، الطبعة الثانية، بيروت: دارالعلم للملادين.
٢٢. عبود، خازن (٢٠٠٤م)، الأمثال شعراً و نثراً، الطبعة الأولى، بيروت: دار الحروف العربي.
٢٣. العلوي، يحيى بن حمزة (٢٠٠٢م)، الطراز، الطبعة الأولى، بيروت: المكتبة العصرية.
٢٤. فتحي، ابراهيم (١٩٨٦م)، معجم المصطلحات الأدبية، الطبعة الأولى، تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين.
٢٥. فضل الله، محمد حسين (١٤٢٥هـ.ق)، آفاق الحضارة الإسلامية المعاصرة (مجموعة الندوة)، الطبعة الأولى، منشورات: مكتب آية الله السيد محمد حسين فضل الله.

٢٦. القط، عبد القادر (١٩٨٧م)، في الشعر الإسلامي و الأموي، الطبعة الأولى، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر.

٢٧. الكليني، محمد بن يعقوب (١٣٨١ هـ.ق)، أصول الكافي، طهران: مكتبة الصدوق.

٢٨. المجلسي، محمد باقر (١٩٧٩م)، بحار الأنوار، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٩. محمد يونس علي، محمد (٢٠٠٧م)، المعنى و ظلال المعنى، الطبعة الثانية، بيروت: دار المدار الإسلامي.

٣٠. المسعودي، علي بن الحسين (١٩٥٨م)، مروج الذهب، الطبعة الرابعة، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

تنوع شیوه‌ها در گفتمان ادبی اسلامی

محمد حسن معصومی*

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه آزاد اسلامی واحد قم

Dr_masomi38@yahoo.com

چکیده:

گفتمان ادبی اسلام به‌عنوان یک ساختار معنایی متکامل، شیوه‌های بیانی گوناگونی را برای فرستادن پیام خود و نشان دادن آن در جان گیرنده بر می‌گزیند. خاستگاه چنین شگردی این عقیده است که ساختار روانی آدمیان با یکدیگر متفاوت است و همین امر، آفریننده‌ی اثر ادبی را بر آن می‌دارد تا برای راهیابی به ژرفای جان مخاطبان به شیوه‌های گوناگونی دست یازد و از این رهگذر، آرمان خود را به‌نحوی مطلوب، عملی سازد؛ از همین روی است که گفتمان ادبی اسلام، اکثر انواع ادبی و نیز همه‌ی صور خیال و شیوه‌های معنایی را برای رسیدن به آرمان یادشده، که راه خیر و رستگاری است، به‌کار می‌گیرد. شایان ذکر است که این گفتمان دینی، خطوطی روشن را مقتدای خود قرار داده است؛ زیرا خاستگاه آن خرد و منطق البته در کنار عواطف زنده و پویاست که آرمان آن ایجاد دگرگونی در گیرندگان پیام بوده و هم‌زمان این شگردها را در قالب اسلوبی از گفتار می‌ریزد که پیام را به آسانی ارسال کند.

جستار حاضر می‌کوشد به کیفیت به‌کارگیری انواع ادبی به‌عنوان یکی از ابزارهای گفتمان ادبی اسلام بپردازد؛ از این‌رو سعی شده است به‌طور فشرده و با آوردن نمونه‌هایی از این گونه‌های ادبی، که عمدتاً از قرآن و احادیث است، به‌نحوی تأثیرگذاری آن بر مخاطبان پرداخته شود.

کلیدواژه‌ها: انواع ادبی، شیوه‌های گفتار، فنون ادبی، قرآن و حدیث، گفتمان ادبی اسلامی.

Different Styles of Speech in the Islamic Literature Discourse

M.H. Masoumi*

Assis. Prof. of Islamic Azad Uni., Qom Branch, Dep. of Arabic Language & Literature, Iran

Dr_masomi38@yahoo.com

Abstract:

Islamic literature discourse picks out different speech styles to convey the message of speech and make way for penetrating into the soul of the addressee. The origin of this approach is the belief that the psychological structure of human beings varies, and this requires following different speech styles to lead the addressee toward benevolence and well-being by conveying the rightful message. In this regard, literary images and different sentence structures are also used.

Among the various styles in Islamic literature discourse, this article has just paid attention to the literary techniques or styles, and attempted to explain how to utilize any of them to communicate with and influence the addressee. It also mentions some Quranic and Tradition examples for each of them.

Keywords: Islamic literature discourse, Speech styles, Quran and Hadith, Knowledgeable addressees, Literary techniques.